العيش طعما ولا ارى السعادة الا وهماً . تظمأ نفسي الى موارد الحمام . فاكرر لها ما قلته في غير هذا المقام

فيا نفسي المعذبة استريحي فيوشك يوم ذلك ان يكونا

« شاعر ناثر »

الزواج

الزواج وهو مطلب الصبي منذ يراهق وغاية الفتاة حين تبلغ الحلم وواسطة عقد الحياة بل هو الغاية الجلى التي يسعى اليها كل حي من الجنسين بعد قضاء اهم مآرب الحياة فان الغلام لا يكاد يبلغ عهد الشباب وتنبسط له اسرار الحياة حتى يشتغل قلبه بمطلب الزواج وتنصرف نفسه الى البحث عن الرفيق فتتمثل له دورة الارض بطيئة ويود لو مرت به الايام سراعاً فيقضي واجبات دور الدرس والتعليم ويقتل سنين الحداثة توصلا الى عهد الشباب وهو لا يريد بهذا الصبر غير هذا الزواج وكذلك الفتاة فانها لا تكاد تماط عنها التمائم وتقف على بعض اسرار هذا الوجود حتى تأخذ بالتزين والتبرج ومصافاة المرآة كي يحسن منظرها في العيون وتجد تلك الضالة فهي لا تنصرف الى تحسين وجهها واخلاقها ولا تنهمك في الدروس والاعتناء بظواهرها الا طلباً لارضاء هذا الزوج كي تشتمل واياه برد السعادة وتعيش معه في هناء الحب ونعيم الزواج

ولما كان هذا الزواج مطلب كل من الفريقين فقد اصبح الهناء الصحيح

والنعيم الدائم وهو لم يجعل الا ليكون على هذا الحد ولكننا لو بحثنا في احوال المتزوجين لما وجدنا من بلغ منهم هذا الهناء غير النزر اليسير وما ذلك الا لخطاء اولئك المتزوجين وعدم تمهنهم في الاسباب الداعية اليه فان هذا الزواج يشبه نعيم الآخرة الا ترى ان المؤمن اذا لم يقض العمر باتيان الصالحات والتأهب للقاء وجه الله فلا يظفر بشيء من هذا النعيم الخالد وكذلك الزوج فانه اذا لم يتدبر في الزواج ويتبع فيه سبل الحكمة ويتأهب لاستقبال صفائه بما يعد له من خلق رضي واختيار زوجة صالحة وتناسب في المقام والاخلاق الى غير ذلك من شروط هذا المطلب العزيز فهو لا يظفر ايضاً بشيء من هذا الهناء الذي ينبغي ان يدوم بدوام الحياة . ثم ان الزوج يشبه ذلك الرجل الذي يسير فوق حبل مرتفع فاذا لم ينتبه ويحترس بنقل خطواته على شروط هذا السير فقد توازنه وزلت قدمه فيسقط مهشماً على الارض وكذلك المتزوج فانه اذا اخل بشرط من شروط زواجه استحال نعيمه الى بؤس وانقلب خيره الى شر . وهذا ما نراه بين اكثر المتزوجين فان معظمهم لا يقدمون على الزواج الا لمأرب مادي فلا ينتبهون الى مستقبله ولا يدفعهم اليه حب صادق او حاجة قاضية واكثر ما يكون هذا الزواج بيننا لما قدمناه من غاية المال او بضغط اب ونسيب او لجمال وقع من العين دون ان يبلغ الى القلب الى غير ذلك من هذه الاشباه التي لا تجمع بين الزوجين الا لغرض مقصود وآراب خاصة فاذا قضيت هذه الآراب زالت الرابطة بينهما ولم يعد الزواج بينهما حقيقة مسماة وهكذا كل زواج لا تبنى دعائمه على الحب الصالح فانه يمسي كالبيت يبنى اساسه على الرمل فاذا هبت عاصفة قوضت اركانه وهدمت مبانيه

على ان هذا الحب نفسه لا يفيد في هناء الزوجين اذا لم يكن بينهما اتفاق في الاخلاق والمشارب فان قليل الحب قد يزيد ويتمكن من القلبين بالالفة وطول العشرة على شرط الاتفاق بالاخلاق. واما اذا اختلفت الطباع فان الحب الكثير قد يضمحل ويتلاشى بما يتواتر عليه من اسباب الخلاف واعراض النفرة مع كرور الايام فيهبط ذانك الزوجان من اعلى درجات الهناء الى اقصى دركات النكد

وعندنا انه لا يتلائم الزوجان ولا يكون لهما اتفاق خالد الا اذا كان بينهما تناسب طبيعي وادبي وكان هذا التناسب تاماً من جميع الوجوه

اما التناسب الطبيعي فهو ان يكون الزوج اكبر من الزوجة وان يكون الفرق بين عمريهما عشرة اعوام على الاقل وخمسة عشر عاماً على الاكثر لان المرأة معرضة للامومة واتعاب الرضاعة والتربية ومشاق الامور المنزلية فهي تعجز للطف بنيتها عن مناوأة الايام قبل عجز الرجل فاذا كانا بعمر واحد شاخت قبله فزالت دواعي الاتفاق واذا كانت اكبر منه فان الاتفاق بينهما محال اذ لا يقطعان الشوط الاول في حلبة الزواج حتى يلدغ المرأة عقرب الغيرة فتنكد حياة الزوج

وان من شروط التناسب الطبيعي ايضاً ان لا يكون الفرق عظيماً بين الزوجين في الخلق الظاهر كأن تكون المرأة بارعة في الجمال ويكون الرجل بارعا في القبح او عكس ذلك فان الزوجة اذا كانت دون الزوج في الجمال ورأت انها لا تستطيع ان تجذبه اليه بمحاسنها خافت عليه فتن الجميلات. وكذلك الرجل اذا كان دميم الخلق وكانت امرأته جميلة الوجه فتانة المحاسن خشي عليها عيون الرجال فجعل يعد عليها سهام عينيها ويحاسبها في ابتسامات

ثغرها فلا يكون بينهما غير نفار انكى من تلك السهام ولا يعقب ذلك الابتسام غير النفرة وربما تجاوزها الى الانتقام

اما التناسب الادبي فهو ان يكون الزوج اوفر علماً من الزوجة وان تكون ثروته معادلة لثروتها اذا كان لها ثروة وان يكون رأس المرأة لا مولاها وان يضع نفسه في منزلة احترام من امرأته وهو ما لا يتيسر له اذا كان دونها في العلم والتجارب واذا لم يكن له في قلبها مثل هذا الاحترام فلا يطمع ان يكون له في قلبها شيء من الحب الا اليسير من حب الشفقة والحنان. ثم اذا كان لامرأته ثروة فيجب عليه ان يحتفظ بها وان لا يمسها الا اذا قضت حاجة ماسة اما اذا لم يتزوج الرجل المرأة الا لثروتها فانها لا تلبث ان تزف اليه حتى تستكبر وتتشامخ فيكبر عليه عنفها ويزول الهناء من البيت

وخلاصة ما يقال في هذا الزواج ان من اراد ان يبلغ به الهناء وجب عليه ان يتمعن الامعان الشديد قبل عقده وان يختار امرأته من جنسه بل من بلده وان يهيئ اتحاد الروحين قبل اتحاد الجسمين وان يدرس اخلاق امرأته قبل الزواج الى ان يثق من اتفاق الخلقين وان يراعي جميع ما تقدم من الشروط في عرض هذه المقالة فمن جرى عليها فقد عاش زوجاً هنيئاً واباً سعيداً ومن خالف هذه الشروط وتزوج مندفعاً بعوامل الاغراض فقد كان خيراً له لو بقي عازباً مدى الحياة